بالنظر الى ضرورة ارجاع المقاومة الفلسطينية الى كونها مقاومة عربية في فلسطين . ان تحديد هذه العلاقة من شأنه ان يعيد الى القضية الفلسطينية أولويتها في الاقطار العربية ، وبين الجماهير العربية . ان الارتباك الذي من شأنه ان يرسخ ويعمق مفاهيم التجزئة يستند الى دفع الشعوب والاقطار العربية لتتخلى عن منحها الاولوية للقضية الفلسطينية . وبذلك فان التحدي الاساسي للحركات الشعبية والحزبية وللجماهير العربية ، يتمثل في كيفية ارجاع القضية الفلسطينية ، الى كونها القضية الاولى في جدول الاولويات في الاهتمامات العربية . ان هذه الاولوية هي التي تجعل من قضية التحرير الفلسطيني المدخل لترجيح قضية التحرير على قضية التجزئة . اذا هناك علاقة جدلية وعضوية بين الوحدة والتحرير . وبالتالي فان اولى مهمات المقاومة الفلسطينية هي ان تكوّن بذاتها علاقات عضوية ، مع الطلائع الجماهيرية في الوطن العربي ، التي يمكن لها داخل الاقطار التي تتواجد فيها ، ان تقوم بنضالاتها القطرية ، ولكن ان تجعل للقضية الفلسطينية أولوية على هذه النضالات القطرية . كيف يمكن الوصول الى هذا المستوى ؟ ان بدهية علاقة التحرير بالوحدة يجب ان لا تؤدي بنا الى ابقاء هذه العلاقة معلقة وخارج حيز الترجمة العملية ، بل المطلوب هو الوصول الى التنظيم القادر على جعل قضية الوحدة متلازمة مع قضية التحرير . ان كل دعوة للتحرير ، لا تنطلق من الالتزام العميق بالوحدة ، انما هي شعار مفرغ من قدرته على التنفيذ . لا يمكن لمطلب التحرير ان يتحقق بشكل فوري او بشكل قفزي ، لكنه يتحقق في الالتزام بتصور واضح للتحرير ومن ثم بتصور واضح للمراحل التي لا بد للمجتمع العربي والفلسطيني ، على الوجه الاخص ، ان يمر بها حتى يتسنى له الوصول الى التحرير ؛ من خلال هذا التصور الواضح للهدف . لقد تشكلت لدى الثورة العربية في ربع القرن الماضي ؛ وعلى الاخص في العقد الاخير من تاريخها ، عقدة تجاه التمرحل ، اذ اعتقدت او تصورت ان التمرحل هو تمييع للالتزام . ولذلك كان مفهوم الثوريين العرب في اكثر الاحيان ، مرتبطا باعلان الالتزام اكثر من اهتمامهم بدراسة حقول الالغام التي تمر بها الثورة العربية . كان التمرحل بالنسبة لمسيرة الثورة العربية ، يعني المساومة والقبول بالحلول الوسط ، لكن هناك فرقا اساسيا وجوهريا بين المساومة على المبادىء وبين الانحناءات التكتيكية التي تفرضها موازين القوى بين الثورة واعدائها . كما ان اعلان الالتزام او اعلان هدف التحرير او الوحدة ، مجردا بل ومتجاهلا لمقتضيات الدراسة المستفيضة للعراقيل القائمة ازاء الوحدة ، والمشاكل القائمة والتي ينطوي عليها واقع التجزئة ، وتفسخ الواقع العربي ، كان يجعل من الثوريين العرب ، بمختلف التزاماتهم المذهبية ، حريصين على عدم ابراز اهمية تحديد المراحل . انا اعتقد ان هذه العقدة البورقيبية ، التي فرضت على الكثير من دعاة الثورة العربية وقادتها ، الدمج بين التمرحل والمساومة هي من احدى النواقص الهامة في ادبيات الثورة العربية المعاصرة . وفي الوقت الذي لم يكن فيه التوجه الثوري العربي نحو تحديد المراحل توجها واضحا او مدروسا ، جاء التحرك الثوري العربي مشحونا بالتعبئة الجماهيرية الظرفية دون ان يكون مكثفا بخط بياني مستمر قادر على ايجاد البنية المتماسكة داخل الحركات الثورية التي من شأنها ان تدرك ان مطاليبها لا تتحقق بالشكل القفزي . لكن هذه الفجوة النظرية في ادبيات الثورة العربية ، لم تلازمها الى مدة طويلة اذ ان عددا من القوى التي كانت محسوبة على الثورة العربية وعلى اليسار العربي ، كانت بنفس الوقت تمارس السلطة ، في عدد من الاقطار العربية . لذلك فان ممارسة السلطة وضعت كثيرا من القوى الثورية العربية، في مجال الممارسات اليومية ، مما جعل الشعارات الثورية التي تنادي بها ، غير قابلة للتصديق عند الجماهير ، نتيجة لابتلاع السلطة لكل الاندفاعات الثورية فيها ، أو لان السلطة كانت بمستوى من القوة بحيث اعتبرت ان الحزب هو مجرد احدى امتدادات السلطة ، وليس هو المهيمن عليها .